Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طولا حينئذ عن طوله العادى ، مع أنه هو هو لم يتغير ، ولكننا نجده عند التمطى يباعد بين عجزه وصدره بأكبر من طوله العادى ، وفى البيت الثالث يتمنى الشاعر من ثقل الليل وهمومه عليه أن ينجلى الليل ليظهر الصباح ، مع أنه موقن بأن الصباح ليس خيرا من الليل ، بل لعل هموم النهار واعباءه بالقياس إليه أكبر من الليل ، ولكن المرء بطبعه يريد الخلوص مما هو فيه من ضيق بصرف النظر عما سيصير إليه ، وفى البيت الرابع نجد أن الشاعر لم تتحقق له أمنية انقضاء الليل ، بل استمر الليل فى طوله ، لا يمضى ولا يتحرك ، وكأن نجومه ثابتة لا تتحرك إلى المغيب كأنها مشدودة بحبال قوية إلى هذا الجبل

وهذه الصورة القاتمة الحزينة تختلف اختلافا أساسيا عن صورة المرح واللهو والعبث فى العنصر السابق ، لأنها تمثل طورا فى حياته يختلف أيضا اختلافاً أساسياً عن الطور السابق ، ومن الطبعى أن يكون هذا الطور كله هموما ، ولكنها هموم مقرونة بشىء من أمل فى استرداد شىء مما ضاع من الجاه والمال والملك ، وهو يصارع الواقع المر فى الفقر والتدهور ، ومن الطبعى أيضا لمن فقد ملكه وماله أن يقع فى ضوائق الفقر ، خصوصا مع تعدد التبعات وجهات الإنفاق لمن فى مثل وضعه من محاولة استعادة ملك ، كما تروى الروايات أنه زاول الصعلكة فعلا فى بعض هذه الحقبة من حياته ، والصعلكة فى عرفهم هى اللصوصية بغاراتها المعروفة وكذلك قطع الطريق ، ومهما يكن من شىء فلا شك أن الفقر فى هذه الحقبة قد مسه مسًا شديدًا ، ولنا أن نتصور كيف يخرج إنسان من حصار الفقر فى مثل هذه البيئة الشحيحة الموارد ، ولذلك نجد امرأ القيس يحصر هذا العنصر كله فى ثلاثة معان تدور حولها أبيات العنصر ، هى الهموم النفسية التى عبر عنها فى الأبيات السابقة ، ثم أسلوب معيشته ، ثم الحديث عما تبقى له بين مظاهر القوة التى يغالب بها الأحداث ويصارعها ، فأما أسلوب معيشته فقد جعله أشبه بأسلوب الصعاليك فى التكسب والرزق ، ووصفه فى أربعة أبيات ، عقب عليها النقاد القدماء فعلا بأنها أشبه بكلام الصعلوك ، لا كلام طالب الملك[٢٠] وهم يعنون بذلك الشك فى نسبتها إلى امرىء القيس ، والإشارة إلى ترجيح أنها من شعر الصعاليك ، ثم أدخلت فى قصيدة امرىء القيس ، ولكننا لو رجعنا إلى واقع حياة امرىء القيس فى هذه الحقبة من حياته ، فضلا عما وصل إلينا من روايات لعلمنا أن حياته حينئذ لم تكن خيرا من حياة الصعاليك فى اعتمادهم على أسلوب الغارات